مجلة بحوث
كليـــــــــــــة الآداب

سلسلة إصدارات خاصة

الحتمية التاريخية وعمليات قيام وسقوط الإمبراطوريات عند بول كيندى

إعـــــداد
د / فتحى محمد نبية شعبان
كلية الآداب – جامعة كفر الشيخ

ديسمبر ٢٠١١

Web site:http : // Art.menofia . edu. eg *** E. mail : arts @ mailer . menofia . edu. eg

الحتمية التاريخية وعمليات قيام وسقوط الإمبراطوريات عند بول كيندي

مقدمة

درس بول كيندي وببراعة شديدة تاريخ العالم على مدى خمسة قرون مضت منذ ١٥٠٠م، فوجد أن مأساة القوى العظمى إبان عصور تدهورها، بل ومصائر جميع الإمبراطوريات، وحتمية التغير التاريخي تسير كلها وفق منطق محكم في إطار عملية دورية، ووجد أن التفاعل بين الاقتصاد والاستراتيجية هو العامل الأساسي المحرك للتاريخ. وأن هذه العملية الحتمية الدورية تقرر أنه كلما ازدادت الصلة بين الاقتصاد والاستراتيجية قوة، ازدادت الإمبراطورية رفعةً ورسوخاً، وكلما اختلت هذه العلاقة فإن مثل هذه الإمبراطورية تتراجع ويذهب ريحها لتزحف أخرى على أنقاضها لتبدأ دورة أخرى من جديد وهكذا، وتلك هي الصدمة السخيفة التي تنتظر كل الأمم والإمبراطوريات على السواء.

إن كيندي كمؤرخ عظيم كان له حس تاريخي ثاقب، لقد درس التاريخ الحديث وتأمل بعمق شديد عمليات نهوض وتراجع الإمبراطوريات الكبرى. ورغم كل ما بذله من جهد في هذا الميدان فقد نظر إلى المستقبل بعينين فاحصتين على نحو رائع ومثير مما أدهش العديد من المؤرخين والمفكرين على السواء. لقد كان شأنه شأن ابن خلدون وأوغسطين وفيكو واشبنجلر وتوينبي وغيرهم. إنه سعى إلى البحث عن إطارات أو سياقات أو نماذج منتظمة ومتماثلة في مجرى التاريخ، وأخضعها لمبدأ عام ينظمها ويفسرها، ومن ثم تنتظم بمقتضاه أحداث التاريخ.

فلقد كان سقوط روما وبابل قديماً والإمبراطورية الأسبانية والفرنسية والبريطانية حديثاً هي الأرض الثابتة التي انطلق منها للتكهن بسقوط

الإمبراطورية السوفيتية، لهذا كله فقد وضعت هذا البحث تحت عنوان " الحتمية التاريخية وعمليات قيام وسقوط الإمبراطوريات عند بول كيندي ".

أما سبب اختياري لهذا الموضوع فإنه يرجع إلى رغبتي الشديدة للبحث عن عوامل قيام واضمحلال القوى العظمى في التاريخ، والتعرف على نظرية كيندي التي أحدثت دوياً هائلاً في جميع أنحاء العالم في أخريات القرن العشرين، والتعرف أيضاً على مدى مطابقتها لوقائع التاريخ في الماضي والحاضر، ومن ثم استشراف آفاق المستقبل.

وتهدف هذه الدراسة إلى بيان كيف أن التفاعل بين الاقتصاد والاستراتيجية هو العامل الأساسي الذي يحرك التاريخ، وبيان كيف أخضع كيندي التاريخ لعملية دورية تتقلد فيها الأمم الأدوار من الصعود إلى السقوط، ولتحقيق هذا الهدف فقد اتبعت المنهج التحليلي التاريخي بالإضافة إلى المقارنة. ومن هنا فقد قسمت هذه الدراسة إلى النقاط الآتية :

- الحتمية التاريخية عند كيندي.
- كيندي وحتمية قيام وسقوط الإمبراطوريات.
- حتمية التطور التاريخي.

والله أسأل أن أكون قد وفقت في إعداد هذا البحث فإن كنت قد أصبت فهذا فضل من الله سبحانه وتعالى وإن كنت قد أخطأت فمن نفسي ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

دكتور فتحي محمد نبيه شعبان

الحتمية التاريخية عند بول كيندي

أولاً: الحتمية والاستراتيجية:

تتجلى الحتمية التاريخية عند بول كيندي(*)من خلال عوامل ثلاثة: **الأول** التفاعل بين الاقتصاد والاستراتيجية، **الثاني** العوامل النسبية الجغرافية والمالية، **الثالث** المشكلة الديموغرافية. وكلمة إستراتيجية عند كيندي تعني فن الحرب أو التخطيط العسكري، بغرض الدفاع أو التوسع. غير أن المصطلح عند كيندي لا يتضمن العوامل الجغرافية والمالية والاقتصادية، فهذه عوامل نسبية تخص دولاً بعينها. إنها تتحكم في مصير مثل هذه الدول التي تمتلكها.

أما مصطلح الاستراتيجية عند Carl Von Clausewitz فقد اتخذ معنى أكثر رحابة منه عند كيندي. عرّف Clausewitz الاستراتيجية بأنها استعمال المعركة، أو التهديد بالمعركة بقصد الحرب التي تحدث فيها. والاستراتيجية هي استخدام القوات المسلحة لبلوغ الأهداف العسكرية، والغرض

(*) ولد بول كيندي في ويلز شمال بريطانيا عام ١٩٤٥، حصل على البكارليوس من جامعة [نيوكاسل] عام ١٩٦٦، وعلى الدكتوراه في التاريخ من جامعة [أكسفورد] عام ١٩٧٠، عمل في الفترة بين عامي ١٩٩٣ و ١٩٩٦ مديراً مساعداً لبرنامج تقرير الأمم المتحدة للنصف قرن الأخير، عمل أستاذا في جامعة [ايست اجليا] بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٨٣، ويعمل الآن أستاذاً للتاريخ، في جامعة [ييل] ، ألف وحرر ثلاثة عشر كتاباً ، منها "نشوء وسقوط القوى العظمى" ، "الإعداد للقرن الحادي والعشرين" ، "الاستراتيجية والدبلوماسية" ، "الحقائق خلف الدبلوماسية"، "صعود هبوط سيادة البحرية البريطانية بين عامي ١٨٦٥ و ١٩٨٠" ، وقد ترجمت كتبه إلى كثير من لغات العالم ومنها اللغة العربية ، يكتب في العديد من الصحف والمجلات العالمية ، منها "نيويورك تايمز" "التايمز" ، صنداي تايمز" ، "لوس أنجلوس تايمز" "الأكونومست" ، "الواشنطن بوست" والعشرات من الصحف الأخرى ، يعمل مستشاراً لعدد من دور النشر الأمريكية والبريطانية ، زميل للجمعية التاريخية الملكية ، زميل لجمعية الفلاسفة الأمريكيين ، زميل لجمعية المؤرخين الأمريكيين ، زميل زائر لمعهد الدراسات المتقدمة ورئيس لأفضل تصنيف لتاريخ الإمبراطورية البريطانية ، حقق وراجع العديد من الكتب والدراسات منها مجموعتان كبيرتان في الدراسات الاستراتيجية المعاصرة .
الأولى هي:"الدول النامية في إطار السياسات الأمريكية في العالم النامي"، وطبعت عام. ١٩٩٩.
والثانية بعنوان "من الحرب إلى السلام" ونشرت في العام٢٠٠٠.

السياسي للحرب عن طريق التوسع. والاستراتيجية أيضاً ترتكز على التطوير، وقد تشتمل على الهيمنة الفكرية، والاستعانة بكل مصادر الدولة بغرض تطبيق سياستها في الحرب. والفكر الإستراتيجي هو فكر برجماتي حتمي إلى أقصى درجة. إنه يعتمد على حقائق الجغرافيا، والمجتمع، والاقتصاد، والسياسة، بالإضافة إلى حقائق أخرى. والمؤرخ الإستراتيجي لا يمكنه تجاهل هذه القوى. إنه يجب أن يحلل السياق المختلف للإستراتيجية، والطريقة التي يعمل فيها وفقاً للسياق والأفكار كل منهما مع الآخر، بينما هو يتتبع التطور من الفكرة إلى المذهب إلى التطبيق، والتعاقب الذي سوف يؤدي بدوره إلى أفكار أخرى. فتاريخ الفكر الإستراتيجي ليس هو تاريخ العقل المجرد وإنما التطبيقي.[1] من هنا يتسع مصطلح الاستراتيجية فيتضمن عناصر أخرى اقتصادية، سياسية، جغرافية، اجتماعية، تكنولوجية... الخ. لكن كيندي قد ميز منذ البداية الاستراتيجية بوصفها فن الحرب وتفاعلها مع الاقتصاد وبين عوامل أخرى وصفها بالعوامل النسبية.

إن بعض المؤلفات التي انتشرت عقب الحرب العالمية الثانية ركزت علي دور الاستراتيجية وأشارت إلى عمليات تراجع وانحطاط الإمبراطوريات، وفي أحد هذه المؤلفات وهو بعنوان"Decline and Fall " كتب Einzig Paul في إطار الاستراتيجية يقول:"لقد كان تراجع وانحطاط الإمبراطوريات المصرية والبابلية والأشورية والفارسية والرومانية والبيزنطية والأسبانية والعثمانية والنابليونية والهابسبورجية والهتلرية نتائج للهزائم العسكرية. وعلى العكس من كل التجارب السابقة فبريطانيا كذلك ماضية نحو المشاركة في مصير هذه القوى العالمية الأولى على الرغم من أنها خرجت منتصرة من حربين عالميتين، بعد قيامها بدور حاسم ــ في الحربين ــ في إحراز النصر. والاعتقاد التقليدي أن بريطانيا قد تخسر المعارك إلا أنها تفوز دائماً في المعركة الأخيرة ظل اعتقاداً

---

(1) Paret Peter – **Makers of Modern Strategy from Machiavelli to the Nuclear Age** [Princeton University Press 1986] P: 3.

مناسباً على نطاق واسع في أيامنا. وبعد أن فازت بريطانيا في الحرب العالمية الثانية ضد الاحتمالات الثقيلة، فإنها على ما يبدو قد فقدت السلام بلا رجعة في كل مظاهره".(١) فالعامل العسكري إذن هو أساس قيام وسقوط الإمبراطوريات، والمؤلف هنا لم يشر إلى العوامل الأخرى الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية. وهذا يوضح أن مصطلح الاستراتيجية يشير إلى فن الحرب أو التخطيط العسكري الاستعماري. ونظرية كيندي لا تبتعد كثيراً عن هذا. إنها تمضي في نفس الإطار.

ويشير جيلبين أيضاً إلى أهمية العملية العسكرية ودور القوات المسلحة في عمليات قيام وسقوط الإمبراطوريات فأكد على وجود عملية دورية تعمل عملها في داخل التاريخ، إنه يستخدم افتراضات واقعية في الحرب والتغير في سياسات العالم؛ لإعادة تفسير ٢٤٠٠ سنة مضت من التاريخ الغربي. فيرى تاريخ العالم كسلسلة غير منتهية من الدورات " نهاية حرب مسيطرة هي بداية دورة أخرى من النمو، والتوسع، والتدهور النهائي".(٢) فمصطلح الاستراتيجية يتجلى هنا في التخطيط العسكري الاستعماري، والتاريخ بهذا يخضع لعملية حتمية دورية منتظمة.

ثانياً: طبيعة الحتمية ونشأتها:

إن الحتمية كما أوضحها إيزيا برلين تكمن في وجود روابط وصلات تربطنا بمؤثرات لا يمكن التحكم فيها أو السيطرة عليها. وتعني في نفس الوقت الاتجاه نحو هدف ثابت لا يتغير. إنها ليست إلا عملية منتظمة من النهوض والسقوط وهذا أمر واقع فحسب عند الذين يعتقدون بأن الكون يتبع فقط القوانين

---

(1) Einzig Paul – **Decline and Fall** - Britain's Crisis in the Sixties [Macmillan ST martin's Press New York] p:1.

(2) **Viotti Paul R . , Mark V . Kauppi – Third Edition International Relation Theory** [Realizm , Pluralism , Globalism , and Beyond – Longman 1998] P : 165 .

الطبيعية. وتتخذ الحتمية كما يذكر إيزيا برلين صوراً مختلفة في التاريخ، فهناك الحتمية العلمية، وهناك الحتمية الخاضعة للنظرة الإنسانية والمتفائلة للمؤرخ أو لنظرة المؤرخ المتمردة التي تتوقع نهاية العالم ودماره، وكل هذه الأنواع تتصور أن الأحداث التاريخية تسلك طريقاً ما وتخضع لقوانين وأننا قادرون إلى حد ما على اكتشاف هذه القوانين(١). وفي هذا الإطار يقول كيندي"وبالمثل(*) فإن السجل التاريخي يشير إلى وجود صلة واضحة على المدى البعيد بين الازدهار الاقتصادي لقوة كبرى مفردة وتدهوره وبين نموها واضمحلالها كقوة عسكرية هامة [أو إمبراطورية عالمية]".(٢) فاستقراء الوقائع كشف لكيندي عن وجود تفاعل بين الاقتصاد والاستراتيجية. فهذه العلاقة علامة بارزة على النمط الدوري والحتمي للتاريخ.

والجدير بالذكر هنا ونحن نبحث فكرة الحتمية التاريخية عند كيندي أن نذكر ابن خلدون فهو بحق أول من وضع أسس نظرية متكاملة في التاريخ تختلف أتم الاختلاف عن التصور الدائري للتاريخ عند اليونان، وهو التصور الذي رفضه أوغسطين وأكد على فردية الحادثة التاريخية(٣). "يرمي ابن خلدون من وراء دراسته للظواهر الاجتماعية إلى الكشف عن القوانين التي تخضع لها

---

(1) Berlin Isaiah , **Four Essays on Liberty, [Oxford University Press, London, 1969]** PP :54, 55 , 57, 58 , 62 .

(*)Similarly, the historical; record suggests that there is a very clear connection in the long turn between an individual Great Powers economic rise and fall and growth and decline as an important military power[or world empire].

(2) Kennedy Paul – The Rise and fall of the Great Powers – Economic Change and Military Conflict from 1500 to 2000 [copyright 1988]. PP: xxiv – xxv .

– بول كيندي - **القوى العظمى** - التغيرات الاقتصادية والصراع العسكري من ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠- ترجمة دكتور عبد الوهاب علوب [دار سعاد الصباح ١٩٩٣] ص : ١٧.

(3) Lowith Karl – **Meaning in History** – " Chiceage – Press 1949" P : 160 .

هذه الظواهر في نشأتها وتطورها وما يعرض لها من أحوال."[١] أما فيكو في القرن الثامن عشر فقد اعتقد، أن جميع الأمم، تمر بثلاث مراحل سياسية، عصر الآلهة أو الثيوقراطية theocracy، عصر الأبطال أو الأرستقراطية aristocracy، عصر البشر أو المساواة equality [المعترف بها في كل من الجمهوريات والملكيات].[٢] في هذه النظرة العضوية للتاريخ تكمن الحتمية. فكيندي شأنه شأن ابن خلدون وأوغسطين وفيكو وغيرهم، سعى إلى البحث عن إطارات أو سياقات أو نماذج منتظمة ومتماثلة في مجرى التاريخ، وحاول إخضاعها لمبدأ عام يفسرها ويتحكم فيها.

ثالثاً: الحتمية التاريخية في الفكر المعاصر:

وإذا انتقلنا إلى الفكر المعاصر فسوف نلتقي بالنظرة العضوية للتاريخ عند اشبنجلر. لقد نظر اشبنجلر إلى التاريخ على أنه يتركب من كائنات عضوية حية هي الحضارات؛ ولما كانت الحضارة كالكائن العضوي الحي إبان تطوره. فلكل حضارة طفولتها وشبابها ونضجها وشيخوختها؛ أو أن الحضارة تشبه تماماً فصول السنة.[٣] والتاريخ في نظر اشبنجلر لابد وأن يتأسس على الحدس. بالإضافة إلى " التأمل، والمقارنة، والتأكد الداخلي المباشر، والتقدير الحقيقي للعواطف" [٤]. والأمر عند كيندي لا يختلف كثيراً عن هذا التصور،

---

(١) دكتور على عبد الواحد وافي ــ **"تحقيق مقدمة ابن خلدون"** الجزء الأول [دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ــ التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦] ص :١٨٤.

(2) Bumer Fran;lin L . **Modern European thought** – continuity and change in ideas 1600 – 1950 [colier Macmillan Publishers London 1977] P : 244 .

ـ باومر فرانكلين ل . **الفكر الأوربى الحديث ـ الاتصال والتغير في الأفكار** ١٦٠٠ ــ ١٩٥٠ ــ الجزء الثاني [القرن الثامن عشر] ـ ترجمة دكتور أحمد حمدي ـ [الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨] ص :١٢٢.

(٣)دكتور عبد الرحمن بدوي **"اشبنجلر"**[وكالة المطبوعات ــ الكويت ١٩٨٢] ص : ١٠١، ١٠٣ ـ ١٠٤.
(٤) روبرت لافون ــ جرامون ــ **التاريخ ــ قضايا الساعة [3]** ترجمة نادية القباني ومراجعة رضا إبراهيم [شركة ترادكسيم ١٩٧٧] ص : ٦٩.

فالإمبراطوريات أو القوى العظمى تحكمها عوامل لا شخصية تتمثل في الاقتصاد فهو الذي يحرك عجلة التاريخ فيرفع أمما ويهبط أخرى.

والحتمية عند توينبي وكيندي تمضي في نفس الطريق الذي مضى فيه اشبنجلر، فتوينبي درس التاريخ فوجد أن الحضارات تمر بعملية دورية على أساس من التحدي والاستجابة. فنمو الحضارة عند توينبي لا يرجع إلى الامتداد الجغرافي للمجتمع ولا يرتد إليه. وبغض النظر عن أي شيء فإن الامتداد الجغرافي للمجتمع يرتبط بكل تأكيد بانهيار وانحلال الحضارة وليس بنموها. فنمو الحضارة لا يتألف على حد سواء من العملية التكنولوجية ولا يرجع إلى زيادة السيطرة الاجتماعية على البيئة الطبيعية:" فليس ثمة علاقة متبادلة بين التقدم في التقنية والتقدم في الحضارة".[1] لكن نظرة كيندي إلى العوامل الجغرافية تختلف عن نظرة توينبي، لقد قدم كيندي مستويات ثلاثة للعلّية تظهر أثر الحتمية، وبالذات المستوى الثاني فيقول "وثانيتها العوامل الجغرافية[*] / السياسية والاستراتيجية والاجتماعية/ الثقافية التي تؤثر على ردود أفعال كل دولة تجاه تغيرات الموازين العالمية".[2] فالعوامل الجغرافية إذن لا يمكن إغفالها، إنها تحدد مصير بعض الدول فترفع دولة ما وتسقط أخرى وهذه أيضاً عملية حتمية.

إن دراسة كيندي للقرون القليلة الماضية كشفت عن قاعدة أساسية تمكن من فهم الأحداث التاريخية والتكهن بها، تقرر هذه القاعدة أن معدلات النمو المتفاوت للاقتصاد سيؤدي بالضرورة إلى تحولات في التوازنات السياسية

([1]) Sorokin Pitirim **A . Modern Historical and Social philosophies** [New York 1963] P : 115 .

([*]) second, the geopolitical, strategical, and sociocultural factors which influenced the responses of each individual state to these broader shifts in the world balances.

([2]) Kennedy Baul – **The Rise and Fall Of great Powers** P : 253.

ـ الترجمة ص : ٢٨١.

والعسكرية العالمية.[١] فحجة كيندي اقتصادية، وبخاصة النمو الاقتصادي النسبي. فالقوى القوية تحث بشكل ثابت على التوسع. فلديها المال وقوة العمل، والمناطق الأخرى تبدو صالحة للهيمنة. وإمبراطوريتها تتوسع حتى تتضخم؛ ثم تنحل. فتضعف تدريجياً قاعدتها الاقتصادية، ونمو إمبراطوريتها يتزايد على حساب المحافظة والدفاع. وأن القوى الأخرى، لم تكن اقتصاداتها قد استنفذتها النفقات الإمبريالية، فتنمو بسرعة وتصبح أغنى وأكثر قوة.[٢] فتأمل المادة التاريخية التي حشدها كيندي كشفت له عن هذه الصلة. إنه ينتقل من ماضٍ معلوم إلى فهم الحاضر والتطلع إلى المستقبل.

تتبدى الحتمية عند كيندي في عرضه لتاريخ قيام وسقوط الإمبراطوريات العالمية. لكن معاصره هنتنجتون على العكس منه تماماً يرفض كل صور التفسيرات الحتمية في التاريخ فرأى أن التاريخ يتسم بالحرية. يقول"وعلى أية حال فإن الدرس(*) الأهم في تاريخ الحضارات هو أنه توجد أشياء كثيرة محتملة ولكن لا شيء حتمي. والحضارات تستطيع أن تتشكل فلديها القدرة على تجديد ذاتها"[٣]. فالحرية هي السمة الحقيقية للتاريخ وليست الحتمية عند هنتنجتون. وهذه نظرة أحادية للتاريخ يسعى من خلالها إلى بعث الأمل في نفوس الأوربيين.

وخلاصة هذا أن الحتمية التاريخية عند القائلين بدائرية التاريخ تتمثل في وجود خطوط رئيسية تربطنا بمؤثرات لا يمكن الهيمنة عليها. وفي حالة كيندي

---

(1) Ibid P: 564.

ـــ الترجمة ص : ٦٠٣ .

(2) Roskin Michael G . ,Robert L . Cord , James A . Medeiros , Walter S . Jones , **Political Science an Introduction Eighth Edition** [Prentice Hall 2002] P : 391 .

(*) The overriding lesson of the history of civilizations, however, is that many things are probable but nothing is inevitable. Civilizations can and have reformed and renewed themselves.

(3)Huntington p. Samuel **The clash of civilization** and the remaking of world order[the free press 2002]P : 303.

تتمثل الحركة الدائرية في وجود عامل أساسي يوجد في عملية اندماج وتفاعل محكم بين الاقتصاد والقوة العسكرية. وعملية قيام وسقوط القوى العظمى كما وصفها كيندي ليست إلا عملية منتظمة تؤكد على مظهر الحتمية وأثرها، وبهذا يمضي كيندي في نفس الطريق الذي مضى فيه هؤلاء الذين يعتقدون بأن الكون يتبع القوانين الطبيعية. والأحداث التاريخية عنده تتجه بفعل عامل التفاعل بين الاقتصاد والقوة العسكرية إلى الارتقاء بأمة ما إلى القمة وهبوط أخرى.

كيندي وحتمية قيام وسقوط الإمبراطوريات

إن نظرية كيندي في عملية قيام وسقوط الإمبراطوريات تؤكد أنه يلتزم وقائع التاريخ ولا يحيد عنها والتاريخ كما يقول ادوارد كار "عملية مستمرة من التفاعل المتبادل بين المؤرخ ووقائعه وحوار لا ينتهي بين الحاضر والماضي."[1] فالتفاعل هنا يكمن في اهتمام كيندي الشديد بالأحداث والوقائع التاريخية. فرغم أنه تبنى فرضاً محدداً إلا أن وقائع التاريخ هي الأرض الثابتة التي يتحرك فوقها. وإذا كان التاريخ حواراً بين الحاضر والماضي فهو كذلك عند كيندي إلا أن هذا الحوار يسمح باستشراف آفاق المستقبل.

وإذا أردنا أن نصنف نظرية كيندي في التاريخ وفقاً للمفهوم الهيجلي قلنا إنها تنتمي إلى النوع الثاني من التاريخ التأملي عند هيجل وهو التاريخ البراجماتيPragmatical History وفيه يتألق العقل تألقاً ملحوظاً حيث يلتزم الباحث دراسة الماضي، وتكون المادة التاريخية هي الأرض الثابتة التي يتحرك فوقها، ففيها يعمل عقله، ويجهد ذهنه في علاج هذا الماضي، فيسطع حاضراً عندئذ أمام العقل ناشئاً عن نشاطه الخاص، والأحداث على كثرتها وتنوعها تترابط فيما بينها في فكرة تشيع فيها جميعا ــ مضمونها العميق، وذلك كفيل بأن

---

(١) ادوارد كار ــ **ما هو التاريخ** ترجمة دكتور أحمد حمدي محمود ص :٣٩ .

يخرج الحادثة من دائرة الماضي ويجعلها حاضرة بالقوة.[1] لقد استفاد كيندي إذن من المادة التاريخية الهائلة التي توفرت له، وتأملها بعمق شديد، إنه لم يكن مجرد مؤرخ فحسب وإنما استطاع أن يصل إلى العامل الأساسي الذي يدور حوله التاريخ، ولهذا تندرج نظريته ضمن التاريخ البراجماتي ولكن وفقاً للمفهوم الهيجلي.

أولاً : حتمية نهوض وتراجع الإمبراطوريات في عالم ما قبل التصنيع:

ارتكز تحليل كيندي لعمليات نهوض وسقوط الإمبراطوريات الشرقية منذ عام ١٥٠٠م على تأمل التاريخ، فكانت المادة التاريخية وما تنطوي عليه من أحداث تاريخية كبرى هي الأرض الثابتة التي انطلق منها، وتبدى له العالم الشرقي منذ تلك الفترة وقد قام واضمحل بما استقر فيه من نظام حكم مركزي بيروقراطي، فعلى أساس البيروقراطية نهضت الإمبراطوريات الشرقية العظمى، وعلى أساس البيروقراطية اضمحلت هذه الإمبراطوريات.

ركز كيندي في دراسته للإمبراطورية الصينية والإسلامية والهند المغولية على نظام الحكم المركزي البيروقراطي الشامل، فقرر أن هذا النظام هو العامل الذي أدى إلى قيام هذه الإمبراطوريات وانهيارها. واليابان وروسيا كقوتين كبيرتين قد اتسمتا بنفس طابع الممالك الأوربية، ولكن انهيارهما هو الآخر جاء نتيجة لالتزامهما بالخط المحافظ والاستبداد المدني والعسكري.[2] يقول كيندي " ولكن (*) رغم قوة وتنظيم بعض من هذه الإمبراطوريات الشرقية

---

(1) Hegel – **The philosophy of History** – Translated by J . Sibree – [New York – 1956] P: 5 – 6 .
إن مقدمة فلسفة التاريخ هي ذاتها محاضرات في فلسفة التاريخ وقد نقل هذه المحاضرات إلى العربية دكتور إمام عبد الفتاح إمام .

(2) Kennedy Baul – **The Rise and Fall Of great Powers** PP : 8– 19 .
ـ الترجمة ص : ٢٥ـ ٣٧.

(*) But however imposing and organized some of those oriental empires appeared by comparison with Europe, they all suffered from the consequences of having a centralized

إذا ما قورنت بأوربا إلا أنها كانت جميعاً تعاني نتائج السلطة المركزية التي تصر على وحدة العقيدة والتطبيق لا في مجال الدين الرسمي للدولة وحسب، بل وفي مجالات أخرى مثل الأنشطة التجارية وتطوير الأسلحة" (١) ويقول أيضاً "وكان انعدام مثل هذه السلطة العليا في أوربا ووجود صراعات بين مختلف ممالكها ودويلاتها باعثاً على البحث الدائب عن التطوير العسكري الذي تفاعل بصورة مثمرة مع التطورات التقنية والتجارية " (٢) واضح من هذا أن كيندي يسعى إلى تبرير الصراعات الأوربية، وإلى إثبات وجود تفاعل في الوقت نفسه بين الاقتصاد والاستراتيجية، ورغم كل ما قام به من جهد في حشد الوقائع التاريخية وتحري الدقة إلا أنه لم يكن موضوعياً بما فيه الكفاية.

يهدف كيندي من خلال وصفه للأحداث الكبرى في أوربا وما شهدته تلك القارة من صراعات وحروب إلى إثبات أن تلك الصراعات الأوربية قد أدت بأوربا إلى التقدم. فهذه النظرة تختلف بالطبع عن نظرة فولتير وغيره من فلاسفة القرن الثامن عشر. لقد أورد فولتير في بحثه الشهير " مقال عن عادات وعقلية الشعوب " أن الحروب والأديان هما أهم عائقين لتقدم البشرية، ولو تم القضاء عليهما، بالإضافة إلى التعصب الذي يخلقهما، فإن العالم سيتحسن سريعاً.(٣) وحول الصراعات التي مرت بها البشرية في تاريخها الطويل تحدث راسل عن ثلاث صراعات وهي: **أولاً** :صراع الإنسان ضد الطبيعة man and nature،

---

authority which insisted upon a uniformity of belief and practice, not only in official state religion but also in such areas as commercial activities and weapons development.

(1) **Ibid** P : xvii .

ـ الترجمة ص: ٩.

(2) **Ibid** P : xvii .

ـ الترجمة ص : ٩.

(3) Bury J . B . – **The Idea Of Progress** – [An inquiry into its origin and Growth, Macmillan London 1920] P : 149 .

ـ ج . ب . بيوري ـ **فكرة التقدم** ـ ترجمة دكتور أحمد حمدي محمود مراجعة أحمد خاكي [المجلس الأعلى للثقافة ـ القاهرة ١٩٨٢] ص : ١٣٨.

ثانياً: صراع الإنسان ضد الإنسان man and man، **ثالثاً** : صراع الإنسان وذاته man and himself.[1] وبالنسبة لكيندي فإن الصراعات والحروب التي سجلها التاريخ تؤكد أنها عوامل فطرية في الطبيعة الإنسانية تقودها دائماً إلى الاكتشافات والاختراعات، بينما الأمر في النظم الشاملة البيروقراطية هو على العكس تماماً فهي لا تدفع الجنس البشري إلى التقدم والارتقاء.

ولما كانت عملية الصعود والسقوط هي المصير الحتمي لكل الإمبراطوريات فإن إمبراطورية هابسبرج لم تنج هي الأخرى من نفس المصير المحتوم، ولما كانت مواردها هي قوة الدفع الأساسية لتقدمها الاستراتيجي فإن نقاط ضعفها تأتي بالضرورة من اتساعها كإمبراطورية وعدم كفاية الموارد لسد احتياجاتها الاستراتيجية.[2] تفسر نظرية كيندي قيام وسقوط إمبراطورية هابسبرج والإمبراطورية البريطانية. فقد وحدت أسرة هابسبرج في القرن السادس عشر أسبانيا، وهولندا، والنمسا، وكانت لديها حمولات الذهب والفضة تتدفق عليها من العالم الجديد. والحروب التي نشبت كانت فقط حروبًا دينية جزئية ــ الكاثوليك ضد البروتستانت ــ وكانت أيضاً تحاول هابسبرج السيطرة على أوربا. فأنهكت هابسبرج نفسها وانحدرت إلى الإفلاس والانحراف. فأسبانيا بخاصة كانت ممزقة اقتصادياً وبقيت في المؤخرة على مدى قرون.[3] فنظراً لما توفر لآل هابسبرج من موارد اقتصادية فإنها كادت تسيطر على أوربا. وهذا يوضح أهمية العامل الاقتصادي في دفع القوة العسكرية إلى الأمام، فثمة تفاعل وثيق بين الموارد وبين الاستراتيجية.

---

(1) Russell Bertrand , **New Hopes for a Changing World** , [London 1951] P : 18 .
ــ برتراند راسل ــ **أمال جديدة في عالم متغير** ــ ترجمة عبد الكريم أحمد ومراجعة علي أدهم ــ دار سعد مصر للنشر والطبع والإعلان "بدون تاريخ " ص :٩.

(2) Kennedy Baul – **The Rise and Fall Of great Powers** – P : 58 .
ــ الترجمة ص : ٧٤ .

(3) Roskin Michael G . ,Robert L . Cord , James A . Medeiros , Walter S . Jones , **Political Science an Introduction Eighth Edition** P : 391 .

والنقطة التي نود الإشارة إليها في قيام وانهيار الإمبراطوريات هي دور العوامل الجغرافية والمالية، وهي عوامل نسبية في نظر كيندي. فبريطانيا قد تمتعت بالعديد من المزايا وتفوقت على منافستيها ذات النظم المالية المتخلفة، وذلك نظراً لما تمتلكه من نظام مصرفي وانتمائي متقدم، لكن عنصر الوضع الجغرافي كانت له أيضاً أهمية في تحديد مصير القوى في صراعاتها المتعددة والمتغيرة مما يساعد على تفسير أسباب تحول الدولتين الرئيسيتين روسيا وبريطانيا إلى هذا القدر من الأهمية في عام ١٨١٥، فقد استعادتا القدرة على التدخل في صراعات أوربا الوسطى الغربية بينما كانت في أمان جغرافي منها، وتوسعت كل منها إلى خارج أوربا مع بدايات القرن التاسع عشر.(١) فالعوامل المالية والجغرافية وهي العوامل النسبية كما وصفها كيندي كان لها تأثير واضح في تقدم بعض الدول إلى القوى من الدرجة الأولى بينما الدول التي لا تمتلك مثل هذه المقومات تتراجع إلى مصاف الدول من الدرجة الثانية.

يدل اهتمام كيندي بالعوامل المالية والجغرافية على تأثير الروح العلمية التي تبدو واضحةً جلية في نظريته التاريخية، فلاحظ أن هذه العوامل النسبية هي علة نهوض بعض الدول أو الأمم التي تتوفر لها مثل هذه العوامل، فأصدر حكماً كلياً يقرر أن العوامل المالية والجغرافية تلعب دوراً في تقدم بعض الدول التي تمتلكها بينما الدول التي لا تمتلك مثل هذه العوامل تتراجع إلى مصاف الدول من الدرجة الثانية.

وثمة نقطة أخيرة نود الإشارة إليها وهي أنه توجد سمة مشتركة بين كيندي وأصحاب النزعة الغائية في التاريخ وبخاصة هيجل ألا وهي الحتمية. ويلتقي كيندي مع هيجل فقط في الجانب الحتمي للتاريخ. فالتاريخ عند هيجل ينتهي بالثورة الفرنسية. والثورة الفرنسية هي النهاية في التاريخ بالمعنى الذي

---

(١) Kennedy Baul – **The Rise and Fall Of great Powers** – P : xviii .
ـ الترجمة ص : ١٠ ـ ١١.

يمتلك العقل في حالة من الحرية المطلقة، وشعوره بالقدرة على تغيير العالم وتشكيل الحياة السياسية والاجتماعية وفقاً لإرادته الخاصة.(١) هنا تبدو الغائية واضحة، فهي تكمن في التأكيد على نهاية التاريخ تلك النهاية التي جعلها هيجل مرتكزة على الثورة الفرنسية فهذه الثورة هي ذروة التاريخ ونهايته. ولكن الحتمية عند كيندي لا تتحرك نحو نهاية أو غاية محددة كما هو الحال عند هيجل. يقول كيندي" إن تاريخ [*] قيام القوى العظمى وسقوطها لم يبلغ بعد نقطة النهاية "[٢]. ونظرية كيندي على هذا الأساس تتعارض تعارضاً تاماً مع النظرية الهيجلية.

ثانياً : حتمية الاضمحلال والعالم الصناعي:

اكتشف كيندي أن الإمبراطورية البريطانية ككل الإمبراطوريات تعرضت لعملية دورية واكتشف أن البريطانيين كغيرهم قد ارتبط بعقولهم وهم الافتتان بإمبراطوريتهم إبان رفعتها، يقول " وككل الحضارات في أوج مجدها كان البريطانيون يؤمنون أن موقفهم "طبيعي" ومقدر له أن يستمر، وككل الحضارات أيضاً كانت تنتظرهم صدمة سخيفة.(٣) ويعترض هنتنجتون على هذه النظرة الغائية بقوله" ينتهي(•) التاريخ مرة على الأقل في تاريخ كل حضارة،

---

(1) Singer Peter – **Hegel** – [Oxford university Press 1982] PP : 66 – 67 .

[*] The history of the rise and fall of the Great Power has in no way come to a full stop.

(2) Kennedy Baul – **The Rise and Fall Of great Powers** P : xxiii .

ـــ الترجمة ص : ١٥ .

(3) **Ibid** P : 203 .

ـــ الترجمة ص : ٢٢٧.

•) History ends at least once and occasionally moreoften in the history of every civilization. As the civilization's universal state emerges. Its immortality" and convinced that theirs is the final form of human society. So it was with the Roman empire, the Abbasid Caliphate, the Mughal Empire. and the Ottoman Empire. The eitizens of such universal states " in defiance of apparently plain facts... are prone to regard it. Not as a night's shelter in the wildrness. but as the Promisd Land. The goal of human endeavors." The same was true at the peak of the Pax Britannica. For the English middle class in 1897." As they saw it, history for them. Was over.... And they had every reason to congratulate themselves on the permanent state of felicity which this ending of history had conferredon them."

وأحياناً أكثر من مرة. وعندما تنشأ دولة الحضارة العالمية يغشى بصر شعبها ما يطلق عليه"توينبي" "سراب الخلود"، ويصبح مقتنعاً بأن ما لديه هو الشكل النهائي للمجتمع الإنساني. هكذا كان الأمر بالنسبة للإمبراطورية العثمانية. مواطنو مثل هذه الدول العالمية "في تحد للحقائق المجردة الواضحة، يميلون إلى اعتبارها أرض الميعاد وهدفاً للسعي الإنساني، وليس مجرد مأوى ليلي في البرية". هكذا كان الأمر في أوج"السلم البريطاني" بالنسبة للطبقة المتوسطة الإنجليزية في سنة ١٨٩٧ حيث "كانوا يرون أن التاريخ بالنسبة لهم قد انتهى، وكان لديهم من الأسباب ما يكفي ليجعلهم يهنئون بعضهم على الحالة الدائمة من السعادة العظيمة التي خلعتها عليهم في نهاية التاريخ".[١] بهذا يرفض هنتنجتون كل صور الحتمية التاريخية سواء الحتمية الدورية أو الغائية، ومع كل هذا فإن نظرته للتاريخ نظرة أحادية تنحاز إلى المجتمع الأمريكي.

إن بريطانيا أول بلد صناعي في العالم، استخدمت قوة بحرها في تأسيس إمبراطورية غير معقولة بالإضافة إلى ممتلكاتها في كل قارة. ولكن نمو بريطانيا الاقتصادي تلاشى أمام نفقاتها الإمبريالية. وأصبحت؛ في نهاية القرن التاسع عشر عدة قوى، من بينها ألمانيا والولايات المتحدة أكثر قوة. وقضت الحربان العالميتان على الإمبراطورية البريطانية.[٢] فالعلاقة المتوازنة بين الاقتصاد والاستراتيجية أدت في البداية إلى رفعة بريطانيا وازدهارها كقوة عظمى، واختلال هذه العلاقة أدى بالضرورة إلى تدهورها.

لقد كانت الثورة الصناعية في مرحلة النشأة في بريطانيا في أواخر القرن السابع عشر وكان مقدراً لها أن تمدها بالقدرة على فرض الاستعمار على

([1]) Huntington p. Samuel **The clash of civilization** and the remaking of world order P : 301.

ـ صامويل هنتنجتون **صدام الحضارات** ص:٤٨٧.

([2]) Roskin Michael G . ,Robert L . Cord , James A . Medeiros , Walter S . Jones , **Political Science an Introduction Eighth Edition** P : 391 .

العالم وراء البحار وإحباط مساعي نابليون للهيمنة على أوربا.[1] يقول كيندي"والثورة الصناعية[*] تعني ببساطة أن ديناميات التغيير ستزداد قوة ورسوخاً عن ذي قبل".[2] وقد كان أساس الهيمنة البريطانية في القرن التاسع عشر أنها بدأت الثورة الصناعية قبل غيرها بخمسين عاماً، وأنها لم تكن تواجه أية منافسة في النصف الأول من ذلك القرن. وعندما بدأت الثورة الصناعية في بلدان أخرى، كانت بريطانيا لا تزال البلد الأقوى، ولكن مركزها اختلف كثيراً عما كان عليه عندما كانت منفردة بالميدان الاقتصادي. كانت لا تزال الأولى ــ ولكنها أخذت تتعرض لضغوط شديدة من دول أخرى، وخاصة ألمانيا والولايات المتحدة.[3] إذن كانت الثورة الصناعية عاملاً فعالاً في نهضة الإمبراطورية البريطانية وتوسعها من الناحية الاقتصادية والعسكرية.

والنقطة التي نود الإشارة إليها هي موضوعية كيندي، إنه درس عمليات قيام وسقوط الإمبراطوريات دون أن يتحيز لأي منها. ومن ثم اختلفت نظرته عن نظرة هيجل الأحادية التي تنحاز للعالم الجرماني. لقد رأى هيجل أن مسار الشمس هو رمز لمسار الروح؛ وكما أن ضوء الشمس الطبيعية ينتقل من الشرق إلى الغرب، فكذلك ضوء شمس الوعي الذاتي. فآسيا هي الشرق المحدد أو البداية المطلقة، وأوربا هي الغرب المحدد أو نهاية التاريخ. فلحظاتها، أو مراحلها أو عصورها العظيمة هي ثلاثة من حيث العدد ــ الحقبة الشرقية، الحقبة اليونانية الرومانية، والحقبة الحديثة أو الحقبة الجرمانية.[4] إن الروح الألمانية هي روح

---

(1) Kennedy Baul – **The Rise and Fall Of great Powers** – P : xviii – xix .
ــ الترجمة ص: ١٠ ــ ١١.

(*)Industrial Revolution, simply meant that the dynamics of change would be increasingly more powerful and self_ sustaining than before.

(2) **Ibid** P : 566.
ــ الترجمة ص : ٦١٨.

(٣) لستر ثارو ــ **الصراع على القمة ــ مستقبل المنافسة الاقتصادية بين أمريكا واليابان** ــ ترجمة أحمد فؤاد بلبع ــ [المجلس الوطني للثقافة والآداب ــ الكويت١٩٩٥] ص : ٢٩٨.

(4) Barnes Harry Elmer **A History of Historical Writing** [New York 1963] P : 196

العالم الجديد، ونهايتها هي إدراك الحقيقة المطلقة بوصفها التحديد غير المحدد للحرية، تلك الحرية التي لها صورتها المطلقة الخاصة باعتبارها مضمونها. وقدر الشعوب الألمانية هو أن تحمل المبدأ المسيحي مبدأ الحرية الروحية.[١] فالصورة التي رسمها هيجل ورمز إليها بضوء الشمس في حركتها تصور التاريخ على أنه قد بدأ من نقطة محددة وانتهي في نقطة محددة، أو كما ذكر هو أن التاريخ بدأ من آسيا وانتهي في أوربا، في إطار هذه الرحلة التي قطعها التاريخ تكمن الغائية. وهذه الصورة التي رسمها هيجل للعالم الجرماني تعبر عن الغائية.

ثالثاً : حتمية الإضمحلال عند كيندي وعالم القرن العشرين :

إن المادة التاريخية التي حشدها كيندي توضح أن التاريخ ليس ثابتاً أو استاتيكياً جامداً وإنما هو في تغير مستمر، ومع اقتراب القرن العشرين صعدت قوى وسقطت أخرى ورغم الجهود المستميتة التي بذلتها قوى أوربية كبرى تقليدية كفرنسا والنمسا / المجر، وقوة متحدة حديثاً كإيطاليا إلا أنها كانت تخرج تدريجياً من حلبة السباق، وعلى النقيض من ذلك كانت كل من الدولتين الضخمتين الشاسعتين الولايات المتحدة وروسيا تتقدمان شيئاً فشيئاً إلى الصدارة.[٢] ومن وراء كل هذه المتغيرات الدولية يكمن التفاعل بين الإنتاج الصناعي والاقتصادي وبين الاستراتيجية إلى جانب تدخل عوامل أخرى في هذا الميدان كالثقافة والجغرافيا وغيرهما.

لقد كان للوضع الجغرافي والمؤن دور فعال في التغير التاريخي فبدلاً من تعدد الأقطاب ظهر نظام ثنائي الأقطاب. فاختفت إيطاليا وألمانيا واليابان وفرنسا وبريطانيا وحلت محلها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي. وقد تمتع

---

(1) Friedrich Carl J . – **The Philosophy Of Hegel** [The Modern Library New York 1954] PP 88 – 89 .

(2) Kennedy Baul – **The Rise and Fall Of great Powers** P : xix – xx .

ـ الترجمة ص : ١٠ ـ ١١.

كل منهما بامتلاكه للسلاح النووي ونظم الإطلاق بعيدة المدى unclear weapons and long distance delivery systems، فكان لذلك أثره الكبير على التحول التاريخي.(١) فالعوامل النسبية الجغرافية والمالية والثقافية وغيرها قد أحدثت تأثيراً قوياً على المسرح العالمي وبخاصة في التحول التاريخي من نظام تعدد الأقطاب إلى ثنائي الأقطاب، وهكذا نهضت قوى وتراجعت أخرى، فالتغير الذي طرأ على موازين القوى تأثر بتلك العوامل النسبية، غير أن كيندي لاحظ أن امتلاك السلاح النووي قد كان نقطة فاصلة في التاريخ.

لقد اتخذ الوضع العالمي شكلاً جديداً وتحولاً جذرياً فيما بعد حيث ظهر نظام يقوم على تعدد الأقطاب ولكن في هذه المرة من الناحية الاقتصادية، فبدلاً من النظام ثنائي الأقطاب والذي كان محوره من الناحية العسكرية الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي حل نظام متعدد الأقطاب اقتصادياً محوره خمس دول وهي: المجموعة الأوربية والصين واليابان وروسيا وأمريكا. (٢)

أما هنتنجتون فقد اختلفت نظرته عن نظرة كيندي، فقد تصور العالم في أثناء الحرب الباردة وقد انقسم إلى عالم أول، وعالم ثانٍ وعالم ثالث. وتلك التقسيمات لم تعد لها وجود. إنه ذو مغزى أكثر بكثير الآن في جمع الأقطار لا من ناحية نظمها السياسية والاقتصادية أو من ناحية مستوى تطورها الاقتصادي وإنما بالأحرى من ناحية ثقافتها وحضارتها.(٣) فالنظم السياسية أو الاقتصادية ومستوى النمو الاقتصادي كل هذه الأمور لا تمثل شيئاً في نظر هنتنجتون ولكن الأمر المهم في الصراعات الحضارية إنما يكمن في العامل الثقافي والحضاري.

---

(1) **Ibid** PP : 459 – 460, xxi – xxii .

ـ الترجمة ص : ٤٩٧، ١٣ـ١٤.

(2) **Ibid** P : xxi – xxii .

ـ الترجمة ص : ١٤ ـ ١٥.

(3) Mansbach Richard W . – **Global Politics in a Changing World** , A Reader Third Edition – Houghton Mifflin Company Boston New York 2006 P : 382.

ويرى هنتنجتون أن الغرب الآن في قمة غير عادية من القوة فيما يختص بالحضارات الأخرى وقد اختفى خصمه من القوى العظمى من الخريطة. والنزاع العسكري بين الدول الغربية مستحيل، والقوة العسكرية الغربية لا نظير لها. وبخلاف اليابان، فإن الغرب لا يواجه تحدياً اقتصادياً. إنه يسيطر على مؤسسات سياسية وأمنية دولية.(١) والقضية التي يدافع عنها هنتنجتون ويوليها اهتماماً شديداً هي أن صراعات اليوم في أساسها صراعات الماضي وستكون صراعات المستقبل كما أنها ترجع إلى التعددية الثقافية؛ ولكن هنتنجتون يركز على البعد المركزي الأوربي والأمريكي وهذه هي نظرة أحادية للتاريخ.

رابعاً: كيندي وتوقع المستقبل:

أشار كيندي إلى وجود اختلاف زمني ومنهجي بين دراسة الماضي والتكهن بالمستقبل، فالماضي وإن كان قريباً فإنه ينتمي إلى التاريخ، لقد رفض استقراء المستقبل لأنه لا يوجد شيء يقيني عنه. وربما كانت أفضل طريقة لاستشراف المستقبل في نظره التمعن فيما مضى بإمعان وتأمل شروق نجم القوى الكبرى وغروبها في القرون الخمسة الماضية.(٢) اعتمد كيندي هنا على تأمل الماضي، فكأنه ينطلق من دراسة وتأمل ما هو معلوم إلى التكهن بالمستقبل.

لقد فسرت نظرية كيندي ببراعة انحلال الاتحاد السوفيتي – الإمبراطورية العسكرية، فالاقتصاد السوفيتي المتدهور لم يعد قادراً على الصمود. فالإمبراطورية في نظر كيندي كيان ضائع.(٣) وقد ثبتت صحة نبوءة

---

(1) Mansbach Richard W . – **Global Politics in a Changing World** , A Reader Third Edition – Houghton Mifflin Company Boston [New York 2006]. P : 389.

(٢) Kennedy Baul – **The Rise and Fall Of great Powers** PP : 565:566 .
– الترجمة ص : ٦١٧ .

(3) Roskin Michael G . ,Robert L . Cord , James A . Medeiros , Walter S . Jones , **Political Science an Introduction Eighth Edition** P : 391 .

كيندي بخصوص التوسع المفرط في الحرب الباردة، لكن ذلك حدث بالنسبة للاتحاد السوفيتي أكثر مما هو للولايات المتحدة.[١] ويحاجي كيندي بالقول بأن التوسع المفرط للإمبراطوريات حتى تضخمها يرهق قوة الإمبراطورية العالمية. ويخصص أكثر من ربع اقتصادها للدفاع والشؤون الخارجية.[مقارنة بـــ ٦% لصالح الولايات المتحدة في ثمانيات القرن العشرين] مما أرهق الاتحاد السوفيتي، بل ذهب كيندي إلى القول بأن عدم تمدد الإمبراطوريات المختلطة في التاريخ يرتد دائماً إلى أساسها العرقي الخاص حتى إنها قد تهزم أو تضعف في حرب القوى العظمى. ومع ذلك، فإن الإتحاد السوفيتي لم يهزم أو ينتهي في حرب القوى العظمى.[٢] انطلق إذن كيندي من مقدمات وأفكار مسبقة تقرر وجود ارتباط وثيق بين الاقتصاد والإنفاق العسكري. فحلقت أمامه عملية قيام وسقوط القوى العظمى المتنافسة كأسبانيا وفرنسا وبريطانيا وغيرها فكانت هذه الإمبراطوريات هي نقطة البداية التي برهنت له على صحة نظريته.

وأشار كيندي إلى الفلسفة الماركسية وتعرض لحركتها الجدلية في وصفه لنقاط الضعف في البنية الاقتصادية للاتحاد السوفيتي فلفظ "تناقض" في الاصطلاح الماركسي له مدلول محدد، فيشير إلى التوترات[أي التناقضات التي تشتمل عليها المادية الجدلية] التي يجري الزعم بوجودها الفطري داخل النظام الرأسمالي في الإنتاج والتي تؤدي في النهاية إلى زواله، وإنه لمن دواعي السخرية أن يستخدم نفس اللفظ لنفس الوضع الذي يجد الاتحاد السوفيتي نفسه فيه. ونظراً لتأكيد الفلسفة الماركسية على الأساس المادي للوجود فإنها أساس التوترات التي حدثت للاتحاد السوفيتي. [٣] لقد تبنى ماركس الجدل الهيجلي

---

(١) آرثر هيرمان **"فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي "** ترجمة طلعت الشايب تقديم رمضان بسطاويسي [المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٠] ص : ٣٧ .

(2) Nye Joseph s. Jr. **Understanding International Conflicts** – An Introduction to Theory and History – Seventh Edition PP : 140 – 141.

(3) Kennedy Baul – **The Rise and Fall Of great Powers** PP : 631:632.

ـ الترجمة ص : ٦٦٧ ـ ٦٦٨.

لإيجاد تفسير مادي للتاريخ يمثل العوامل التكنولوجية والاقتصادية كوحدات محددة في التطور البشري والاجتماعي. من هذه العناصر الاقتصادية، فقد كان الصراع الطبقي هو أشد قوة في تأثيره. وطبقاً لماركس فإن البروليتاريا ستنتصر في النهاية على طبقة أصحاب رأس المال المستغلين وإيجاد مجتمع لا طبقي.[١] واتسمت أعمال ماركس وإنجلز على تأثير المشاكل السياسية في عصرهما بالتحليل العميق ودراسة مفصلة للثروة من المعطيات الإمبريقية.[٢] فاستخدام ماركس للجدل الهيجلي لاختراع تفسير مادي للتاريخ يعبر عن الحتمية، كما يعبر أيضاً انتصار البروليتاريا على الرأسماليين المستغلين في النهاية عن الغائية.

وتحت عنوان The Making of Soviet Strategy كتبت كوندوليزا رايس تقول" إن بعض الفلسفات العلمانية شمولية شأنها شأن الماركسية تفسر كل تاريخ إنساني وتتنبأ به على أساس معاناة الصراع الطبقي. والماركسية تنبذ بكل وضوح تقسيم الخبرة الإنسانية. وكانت التعريفات الضيقة للإستراتيجية العسكرية التي تفصل بعناية الحرب والسلام أو الجيش والمجتمع غريبة بالنسبة للبلاشفة. ولينين وأتباعه تأثروا بتحليلات Clausewitz النسقية للتفاعل المستمر للسياسة والحرب. وعندما استحوذ السوفيت على القوة في الحرب سقطت الإمبراطورية الروسية في أكتوبر ١٩١٧م، فليس ثمة شك في عقولهم بأن الحرب، والثورة، والسياسة والمجتمع كانت متلازمة."[٣] فانتقادات كوندليزا رايس للماركسية تكمن في نقاط عدة أولها أن الماركسية تنطلق من معاناة الصراع الطبقي لكي تفسر التاريخ البشري وتتنبأ به ومن ثم اتسمت بالشمولية ورفضت تصنيف الخبرة البشرية. وثانيها استبعادها للحرب والسلام والجيش والمجتمع من تعريفاتها الضيقة. والثالثة تأثر لينين وأتباعه بالتحليلات النسقية عند Clausewitz للتفاعل

---

(1) Barnes Harry Elmer **A History of Historical Writing** P : 204 .
(2) Burlatsky Fyodor – **The Modern System And Politics** [Progress Publishers1978]P:8.
(3) Paret Peter – **Makers of Modern Strategy from Machiavelli to the Nuclear Age** p:648.

المستمر للسياسة والحرب. وبكلمات انصب اهتمام كوندوليزا رايس على الجانبين الاقتصادي والاستراتيجي.

وذكرت أيضاً أن النزعة الأيدلوجية والخبرة التاريخية تفترضان أن الصراع، القاسي أحياناً، كان قاطرة للتقدم التاريخي. ولكن حتى لو زودت الماركسية بالإطار، فإنها ليست مزودة ببرنامج عمل. وتحاول البلشفية أن تتخذ بجد وعد إنجلز القائل أن"تحرير طبقة البروليتاريا سوف يخلق خطتها العسكرية الجديدة الخاصة بالكامل." وعلى أي حال، فإن الثورة وإيجاد المجتمع الاشتراكي الجديد، حدث في ظروف معقدة ومائعة. وكذلك أخيراً، كان الفوز بالنصر تهديداً من جانب الأعداء الداخليين والخارجيين وبدا أحياناً أن التجربة البلشفية لابد في النهاية أن تخوض أول حرب مع ألمانيا وبعد ذلك حرباً أهلية، والقادة السوفيت ناضلوا للاحتفاظ بالمجتمع الاشتراكي الناشئ حيث اكتشفوا "بحق" علاقة القوة المسلحة بالتقدم الاشتراكي. فبعض الأدلة التي تلقوها من ميراثهم الأيدلوجي غالباً ما اصطدمت بحقيقة ظروفهم. وبالنسبة لانسجام التوقع الأيدلوجي مع الواقع البارد فإنه يكون مواجهة شاقة مع مجتمعات جديدة.[1] فالصراع إذن هو قوة الدفع الأساسية التي تؤدي إلى التقدم التاريخي في الماركسية، إنها تفتقر إلى برنامج للعمل، والبلشفية تحاول دائماً تطبيق وعد إنجلز وهو أن الطبقة العاملة الحرة هي التي ستوجد الخطة العسكرية الجديدة الخاصة بها على نحو تام.

([1]) **Op.cit** p:648.

حتمية التطور التاريخي

أولاً : نظام عالمي جديد:

إن الخريطة التي تحددت على أساسها ملامح العالم في نهاية القرن العشرين توضح أن البشرية ماضية نحو نظام عالمي جديد فيه تتغير بنية السياسة العالمية وتنمو الأقطار التي تؤلف تنظيماً يقوم على التنمية و التعاون الاقتصادي، وفي المقابل تظهر قوى مختلفة تناضل من أجل هويتها، وتقرير مصيرها. يقول كيندي: " تغيرت بنى السياسات العالمية في نهاية القرن العشرين. ونمت معاً مناطق وقطاعات من العالم، وبخاصة الأقطار الأعضاء في منظمة من أجل التعاون الاقتصادي والتنمية (Oecd) وضواحيها المتاخمة في أوروبا، وأمريكا الوسطى وشرق أسيا. ولكن أقرب من أي وقت مضى، فإن الترابط غير المتكافئ غالباً ما يسبب أيضاً حركات مضادة. والقوى الجهوية والأصولية تناضل من أجل الهوية، وتقرير المصير والتمييز."[1] وبالإضافة إلى عالم الدول بلاعبيه الوطنيين والدوليين يوجد عالم المجتمعات بلاعبيه العديدين غير الرسميين. والمشروعات متعددة الجنسيات، والمنظمات غير الرسمية، وشبكة الأعمال عابرة الحدود تضع تخطيطاً للسياسة الدولية على نحو متزايد. فنظام الدول أقل قدرة دائما على التصدي لمشكلات العالم الديناميكية.[2] فثمة تمييز بين عالمين: عالم الدول من جهة وعالم المجتمعات من جهة أخرى. فهذا الأخير بما يشتمل عليه من مشروعات مختلطة، ومنظمات غير الرسمية، وشبكات الأعمال عابرة الحدود تضع جميعها الخطط السياسية الدولية. ومن الواضح أن عالم الدول بنظامه لا يستطيع أن يضع خططاً في السياسة الدولية، ويعجز على مواجهة مشكلات العالم الديناميكية.

---

(1) Hauchler Ingomar and Kennedy Paul – **Global Trends** The World Almanac of Development and Peace [new York 1999] p:27.
(2) **Ibid** p:27.

إن الصراعات القومية سواء تلك التي نشبت في جنوب شرق أوروبا أو في منطقة الاتحاد السوفيتي السابق بعد أن انتهت المواجهة بين الشرق والغرب، نقول أن هذه الأسباب الرئيسية هي التي عملت على استبدال نظرة نظام جديد كما هو الحال في الولايات المتحدة بتقدير حقيقي لسياسة نظام عالمي. وأما ما جعل اصطلاح نظام العالم يبدو وكأنه يغطي الواقع فهو فوضى العالم الفعلي التي لم تكن قادرة على التصدي للتحديات العالمية سواء تمثلت في الفقر أو تدمير البيئة. (١)

وبالنظر إلى فريدمان فإنه يعترف صراحة بوجود مشكلات في أمريكا والعالم ، فالمشكلة الأمريكية ترجع في نظره إلى سببين أولهما وقوع أحداث ١١سبتمبر، وثانيهما وجود عادات سيئة نشأت ونمت خلال العقود الثلاث الأخيرة، وكان لهذين العاملين أثار سيئة سببت بلا شك مشكلة أمام الولايات المتحدة الأمريكية . فمشكلة العالم كما يراها فريدمان ترجع إلى أنه يتسم بأنه حار، مسطح ومزدحم. ويحاول فريدمان أن يحدد مشكلة العالم في نقاط عدة بدأها بالدفء الكوني والارتفاع في الطبقات المتوسطة وسرعة نمو السكان، كل هذه الأمور مجتمعة قد جعلت الكرة الأرضية في خطر عدم الاستقرار. إن حرارة الأرض وتسطحها وازدحامها كان له عظيم الأثر على الطاقة، وعلى النباتات والحيوانات،ونقص الطاقة والطلب المستمر والملح على البترول مما جعل سيطرته على العالم أشد قسوة، وبالإضافة إلى ذلك الزيادة السريعة في التغيرات المناخية (٢). لقد حدد فريدمان المشكلتين اللتين تواجهان أمريكا والعالم ، وحاول أن يقدم حلاً وعلاجاً لهما فيقول :" إنني مقتنع بأن أفضل سبيل لأمريكا

---

(1) **Ibid** : p: 28.

(2) Friedman Thomas L . **Hot, Flat, and Crowded** – Why we need A Green Revolution and how it can renew America [Farrar, Straus and Giroux New York 2008] P : 5 Available from www. Amazon Books . com . [Accessed 15 th November 2009]

في حل مشكلتها الكبيرة ــ أفضل سبل لأمريكا في الحصول على عودة "أخدودها" ــ هو بالنسبة لنا هو أن نتولى القيادة في حل مشكلة العالم الكبرى . ففي العالم الذي صار حاراً، مسطحاً، ومزدحماً، ومهمة خلق الأدوات، النظم، مصادر الطاقة، والأخلاقيات التي سوف تسمح للكوكب في أن ينمو بأنظف وأكثر السبل احتمالاً ستكون هي التحدي الأكبر على مدى الحياة. " [1] فأفضل طريقة في نظر فريدمان لحل مشكلة العالم هو أن تتحمل أمريكا حل مشكلة العالم ، وذلك يتطلب إيجاد الأدوات والنظم واكتشاف مصادر للطاقة ووضع قواعد أخلاقية للعالم حتى نضمن للكرة الأرضية أن تنمو بصورة نظيفة ومستقرة.

ثانياً: دراسة التاريخ وعملية تكرار المشكلات:

اتخذ كيندي من مشكلة الانفجار السكاني التي بحثها العالم الريفي الإنجليزي توماس روبرت مالتوس Thomas Robert Malthus في مقال له بعنوان "**مقالة حول السكان**" سنة ١٧٩٨ نقطة بداية عبر من خلالها على أن التاريخ يعيد نفسه فمشكلات الماضي هي ذاتها مشكلات الحاضر والمستقبل، بيد أن جوهر الاختلاف يكمن في حدة تلك المشكلات. ولكن ماذا اكتشف مالتوس؟ اكتشف أن " قوة التزايد السكاني غير محدودة وهي أعظم بكثير من قدرة الأرض على إنتاج ما يكفي الإنسان". وذكر كيندي أن الشعب البريطاني قد أفلت من الشراك المالتوسية من خلال مخارج ثلاث هي: الهجرة والثورة الزراعية والتصنيع. [2] تشير هذه القضية التي بحثها مالتوس واتخذها كيندي نقطة بداية للإعداد إلى القرن الحادي والعشرين أنه توجد صلة وثيقة بين مشكلات الماضي ومشكلات الحاضر وهذه الصلة تؤدي إلى التكهن بالمستقبل.

---

(1) **Ibid** PP : 5 – 6 .

(2) Kennedy Paul – **Preparing for the twenty-first century** [pandom house – New York 1993] PP : 5 , 10 .

إن الجنس البشري يعاني معاناة شديدة اليوم وغداً من الأخطار الشديدة التي تنشأ عن الانفجار السكاني وما يترتب عليه من آثار بيئية. يقول كيندي: " تنطوي النتائج المادية لتزايد الجنس البشري على خطورة جسيمة على البيئة الطبيعية، لا سيما على الغلاف الجوي للأرض" [١] فالمشكلات التي رصدها كيندي في القرن الثامن عشر هي ذاتها المشكلات التي يعانيها الجنس البشري في عصرنا، ولكن بصورة أشد قسوة مما مضى، وهذا يعني أن المشكلات دائمة التكرار.

وبالإضافة إلى ما سبق فهذه المشكلات المتداخلة المتشابكة ــ كما يذكر كيندي ــ والمتمثلة في الانفجار السكاني واشتداد الضغط على الأرض والهجرة، والاضطراب الاجتماعي من جهة، وقدرة التكنولوجيا على زيادة الإنتاج والتخلص من المهن التقليدية من جهة أخرى؛ هي ذات المشكلات التي نواجهها اليوم، ولكن على نحو أكثر مما مضى.[٢] والنتيجة المستخلصة من دراسة كيندي للتاريخ هي أنه لا وجود لنظام دولي ثابت، فالتاريخ في تغير دائم. يقول كيندي "إن العالم(*) لا يتوقف عن الحركة وذلك لما في فطرة الإنسان من حافز لتحسين ظروفه".(٣) إن كيندي يحاول أن يبرهن على أن المشكلات الراهنة ليست غريبة عن مشكلات القرن الثامن عشر في عهد مالتوس.

ثالثاً: معوقات التغيير:

يؤكد كيندي على أثر العوامل الثقافية والاجتماعية والدينية والأيديولوجية وغيرها، إنها تقف دائماً في طريق التغيير. والعوامل الثقافية تؤثر على استجابة

---

(1) **Ibid** PP : 21 .
(2) **Ibid** PP: 11.
(*) Non of this is surprising. Because of man's innate drive to improve his condition, the world has never stood still.
(3) Kennedy Baul – **The Rise and Fall Of great Powers** P : 566.
ــ الترجمة ص : ٦١٨ .

الأمة للتغيير إذ أنها توجد في جميع المجتمعات. والتغيير يشكل تهديداً للعادات القائمة وأنماط الحياة والمعتقدات الدينية والاجتماعية. إن كل المجتمعات كما يرى كيندي دون استثناء تستطيع أن تتبنى العقلانية والتجريب، وذلك ليس حكراً على المجتمعات الغربية كما زعم الكتاب الغربيون. والعقل يقضي بأن نفترض أن معظم شعوب الأرض تستطيع أن تتعامل إيجابياً مع تحديات التغيير إذا ما أرادت ذلك. [١] يقول كيندي "ولابد من التخلص من التعصب المذهبي الصارم والإيمان بحرية السؤال والاختلاف والتجريب، والإيمان بإمكانيات التطور، وإيلاء الجانب العملي اهتماماً يفوق الجانب التجريدي، والعقلانية التي تتحدى القوانين الجامدة، والدوجماتيقية الدينية والموروثات الشعبية".[٢] فكيندي إذن يطالب جميع دول العالم بأن تتبنى هذه الأساليب للتخلص نهائياً من العراقيل الثقافية والاجتماعية والأيديولوجية والدينية وكافة المعتقدات البالية التي تعترض الاستجابة للتغيير. إن هذه الآراء تعبر عن موضوعية كيندي؛ فهو يعالج معوقات الاستجابة للتغيير بمنهج علمي موضوعي لا ينحاز فيه لمجتمع دون آخر.

من الواضح في نظر كيندي أن المجتمعات التي تتمتع بموارد فنية وتعليمية ووفرة في المال وتماسك ثقافي تكون مهيأة لدرجة من الاستعداد في مواجهة القرن القادم، أعلى من تلك الدول التي تفتقر إلى هذه الإمكانات جميعاً. والاستعداد للقرن الحادي والعشرين يقتضي التركيز على التعليم ومكانة المرأة ودورها، والحاجة إلى القيادة السياسية.[٣] إن "نظام العالم الجديد" ضد العنف، والفقر، وتدمير البيئة يمكن أن يوجد فقط عن طريق تغيير الخطط الاقتصادية والاجتماعية. إنها تحتاج إلى خطوات عملية نحو السياسات الخدمية ونمو

---

(1) Kennedy Paul – **Preparing for the twenty-first century** P : 16 – 17 .
(2) **Ibid** PP : 16 – 17 .
(3) **Ibid** P: 335 , 339 .

المسئولية السياسية المشاركة لصالح اللاعبين في عالم المجتمعات.[1] كلها عناصر ضرورية للاستعداد للقرن الحادي والعشرين، ولابد لأي مجتمع واعد أن يحمل على عاتقه هذه المهمة.

وبالإضافة إلى ما سبق إن كيندي يسعى إلى رسم خريطة مستقبلية للقرن الحادي والعشرين يوضح فيها أثر العوامل الثقافية والاجتماعية والأيديولوجية والدينية وغيرها من العوامل الأخرى، والمجتمعات لابد أن تأخذ على محمل الجد تحديات الاستعداد للقرن الحادي والعشرين لأسباب رئيسية ثلاثة: **الأول** ويتعلق بالقدرة التنافسية النسبية؛ فمع أن النمو الاقتصادي ليس هو العامل الوحيد الجدير بالاهتمام، إلا أنه من المؤكد أن مستوى معيشة كريمة يهيئ الأساس للكثير من الجوانب الأخرى التي تعتبر هامة في نظر الجماعات والأفراد، كالصحة الجيدة، والتعليم، ووسائل التمتع بوقت الفراغ وغير ذلك. **السبب الثاني** يتمثل في ضرورة الاستجابة للتغيرات الديموغرافية والبيئة بدلاً من تعليق الآمال بكل بساطة، على حل يبرز من تلقاء ذاته. **وأما السبب الثالث والأخير**؛ فهو يتمثل في الحد من فرص الاضطراب السياسي المترافق مع تهديدات بالعنف والحرب. ولا مجال هنا للإنكار بأنه يستحيل توقع العديد من هذه الاضطرابات العنيفة قبل أوانها.[2] وبالإضافة إلى ذلك نلمس أهمية العناصر الضرورية غير المادية، كالصحة والتعليم وسبل التمتع بأوقات الفراغ، وهي عناصر تنشأ بالضرورة عن المستوى المعيشي المرتفع، وضرورة الاستجابة للتغيرات الديموغرافية والبيئة، والحد من الاضطراب السياسي.

---

(1) Hauchler Ingomar and Kennedy Paul – **Global Trends** The World Almanac of Development and Peace p:27.
(2) Kennedy Paul – **Preparing for the twenty-first century** PP: 345 – 347.

نتائج البحث

في ضوء الهدف الذي وضع لهذا البحث وهو بيان كيف كان التفاعل بين الاقتصاد والاستراتيجية هو العامل الأساسي في قيام وسقوط الإمبراطوريات . فقد انتهت الدراسة إلى النتائج الآتية :

أولاً : تعبر الحتمية عن نفسها عند كيندي من خلال عناصر ثلاث **الأول** التفاعل بين الاقتصاد والإستراتجية، وهو العامل الأساسي والحاسم في قيام وسقوط الإمبراطوريات، **الثاني** العوامل النسبية، الجغرافية والمالية، العوامل الجغرافية كالموقع فهو الذي يجعل الدولة في مأمن أو خطر من الأعداء، والعوامل المالية، المصرفية والائتمانية تؤثر على فرص نجاح الدول أو فشلها، **والثالث** المشكلة السكانية والعوامل اللامادية كالثقافة والايدولوجيا والدين والعادات والتقاليد وغيرها، كل هذه العوامل تتحكم في قيام وسقوط القوى العظمى بل ومصائر شعوب العالم ككل.

اكتشف كيندي نزعة توسعية تصاحب الإمبراطوريات أو الأمم إبان رفعتها ومجدها وهذا راجع في أساسه إلى التفاعل بين الاقتصاد والاستراتيجية، واكتشف أنه في لحظة ما يختل التوازن بين الموارد أو القدرات الإنتاجية وبين الإنفاق العسكري. وهذا هو شأن القوى العظمى تظهر وتختفي لتحل محلها قوى أخرى. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الحتمية تقر أن التاريخ في تغير دائم، إنه يتأرجح باستمرار بين نظامين، نظام تعدد الأقطاب وثنائي الأقطاب. وليس ثمة نظام دولي ثابت.

ثانياً: إن نظرية كيندي لا تقر عملية دورية لا نهائية علي غرار التصور الدائري للتاريخ عند اليونانيين القدماء ، بل إنه يكاد يقترب في تصوره لعمليات قيام وسقوط القوى العظمى من الروح العامة لنظرية توينبي في التاريخ . ففي نظرية كيندي كما هو الحال عند ابن خلدون وتوينبي وغيرهما ، لا وجود لأمة

مركزية أو إمبراطورية محورية يدور حولها التاريخ. فالقول بمبدأ التفاعل يقود بالضرورة إلى عملية منتظمة من الصعود والسقوط . ومن ثم تتسم نظرة كيندي بالموضوعية والحياد، وإنه يعالج معوقات الاستجابة للتغيير بمنهج علمي موضوعي لا ينحاز فيه إلى مجتمع دون آخر؛ فموضوعيته الدقيقة قد كشفت له بكل وضوح أن كل المجتمعات دون استثناء تستطيع أن تتبنى العقلانية والتجريب؛ وذلك ليس حكراً على المجتمعات الغربية.

إن موقف كيندي فيما يختص بالعامل الاقتصادي الاستراتيجي يتسم بالغموض والاضطراب. والملاحظ أن نبوءات كيندي لم تصدق كلها، وقد صدقت في التنبؤ بمصير قوة عظمى كالإتحاد السوفيتي الذي تبنى النظرية الماركسية. فالفلسفة الماركسية بما تتضمنه من توترات كانت هي أساس تفكك هذه الإمبراطورية العالمية واختفائها نهائياً من التاريخ، فإذا كانت الماركسية تؤكد على أهمية العامل الاقتصادي، فإن الاتحاد السوفيتي كان في وضع اقتصادي سيء، وهذه نكسة جرتها الفلسفة الماركسية على هذه الإمبراطورية العالمية.

ثالثا: اتخذ كيندي من مشكلة الانفجار السكاني التي بحثها مالتوس في القرن الثامن عشر نقطة انطلاق يعبر من خلالها على أن التاريخ في تكرار دائم، فمشكلات الماضي هي ذاتها مشكلات الحاضر والمستقبل. ومشكلة الانفجار السكاني هي العقبة الكؤود التي تواجه الجنس البشري الآن كما كانت تواجهه في القرن الثامن عشر. وتشير كذلك قضية الانفجار السكاني إلى أن التطور التاريخي يعيد تكرار المشكلات من جديد وهذه هي الدورية، فالدورية في التاريخ تحملنا إلى التكهن بالمستقبل.

وأخيراً رصد كيندي عدة معوقات تحول دون التغيير منها العادات والتقاليد البالية والمؤثرات الثقافية والأيدلوجية الموروثة والجمود واتخاذ الخط

المحافظ، لكن ما يمكن ذكره هنا أن الإنسان ليس له دور حقيقي في تغيير التاريخ وإعادة بناء الحضارات، وباختصار أصبح الإنسان عاجزاً لا حول له ولا قوة أمام هذه الحتمية الصارمة أو المنظومة التي نظمها كيندي على أساس الأبعاد الاقتصادية والاستراتيجية والجغرافية والمالية، والقضية الديموغرافية. وقد بدا كيندي في تحليلاته الختامية للإعداد إلى القرن الحادي والعشرين كموجه ومرشد، ومن ثم اتسمت آراؤه كما هو الحال بالنسبة لتوينبي بالوعظ والنصح.

المراجع العربية

[١] إدوارد كار ــ **ما هو التاريخ** ــ ترجمة دكتور أحمد حمدي محمود مراجعة على أدهم [مؤسسة سجل العرب ١٩٦٢] .

[٢] آرثر هيرمان "**فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي** " ترجمة طلعت الشايب تقديم رمضان بسطاويسي [المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٠].

[٣] روبرت لافون ــ جرامون ــ **التاريخ ــ قضايا الساعة [٣]** ترجمة نادية القباني ومراجعة رضا إبراهيم [شركة ترادكسيم ١٩٧٧].

[٤] دكتور عبد الرحمن بدوي "**اشبنجلر**"[وكالة المطبوعات ــ الكويت ١٩٨٢].

[٥]عبد الرحمن بن محمد بن خلدون "**مقدمة ابن خلدون**" مهد لها ونشر الفصول والفقرات الناقصة من طبعاتها وحققها ، وضبط كلماتها ، وشرحها ، وعلق عليها، وعمل فهارسها دكتور علي عبد الواحد وافي الجزء الأول ــ [دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ــ التنفيذ : الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦] .

[٦] لستر ثارو ــ **الصراع على القمة ــ مستقبل المنافسة الاقتصادية بين أمريكا واليابان** ــ ترجمة أحمد فؤاد بلبع ــ [المجلس الوطني للثقافة والآداب ــ الكويت١٩٩٥].

المراجع الإنجليزية

أولاً: المصادر:

[1] Kennedy Paul – **Preparing for the twenty-first century** [pandom house – New York 1993].

— بول كيندي — **الاستعداد للقرن الحادي والعشرين** — ترجمة محمد عبد القادر غازي مسعود [دار الشروق للنشر والتوزيع ١٩٩٣].

[2]Kennedy Paul – **The Rise and fall of the Great Powers** – Economic Change and Military Conflict from 1500 to 2000 [Fontana Press copyright1988].

— بول كيندي - **القوى العظمى** - التغيرات الاقتصادية والصراع العسكري من ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠- ترجمة دكتور عبد الوهاب علوب [دار سعاد الصباح١٩٩٣].

ثانياً: المراجع:

[1] Barnes Harry Elmer **A History of Historical Writing** [New York 1963].

[2] Berlin Isaiah , **Four Essays on Liberty, [Oxford University Press, London, 1969]**.

[3] Bumer Fran;lin L . **Modern European thought** – continuity and change in ideas 1600 – 1950 [colier Macmillan Publishers London 1977].

– فرانكلين ل . باومر— **الفكر الأوربى الحديث - الاتصال والتغير في الأفكار** - الجزء الثاني [القرن الثامن عشر] - ترجمة دكتور أحمد حمدي - ١٦٠٠ — ١٩٥٠ [الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨.

[4] Burlatsky Fyodor – **The Modern System And Politics** [Progress Publishers1978].

[5]Bury J . B . – **The Idea Of Progress** – [An inquiry into its origin and Growth, Macmillan London 1920].
ـ ج . ب . بيوري ـ **فكرة التقدم** ـ ترجمة دكتور أحمد حمدي محمود مراجعة أحمد خاكي [المجلس الأعلى للثقافة ـ القاهرة ١٩٨٢].

[6] Einzig Paul – **Decline and Fall** - Britain's Crisis in the Sixties [Macmillan ST martin's Press New York].

[7] Friedman Thomas L . **Hot, Flat, and Crowded** – Why we need A Green Revolution and how it can renew America Farrar, Straus and Giroux New York 2008]. Available from www. Amazon Books . com . [Accessed 15 th November 2009].

[8] Friedrich Carl J . – **The Philosophy Of Hegel** [The Modern Library New York 1954].

[9]Harry Elmer **A History of Historical Writing** [New York 1963].

[10] Hauchler Ingomar and Kennedy Paul – **Global Trends** The World Almanac of Development and Peace [new York 1999].

[11] Hegel – **The philosophy of History** – Translated by J . Sibree – [New York – 1956].
إن مقدمة فلسفة التاريخ هي ذاتها محاضرات في فلسفة التاريخ وقد نقل هذه المحاضرات إلى العربية دكتور إمام عبد الفتاح إمام.

[12]Huntington p. Samuel **The clash of civilization** and the remaking of world order[the free press 2002].

[13] Lowith Karl – **Meaning in History** – " Chiceage – Press 1949".

[14] Mansbach Richard W . – **Global Politics in a Changing World** , A Reader Third Edition – Houghton Mifflin Company Boston [New York 2006]. P : 389.

[15] Nye Joseph s. Jr. **Understanding International Conflicts** – An Introduction to Theory and History – Seventh Edition .

[16]Paret Peter – **Makers of Modern Strategy from Machiavelli to the Nuclear Age** [Princeton University Press 1986].

[17]Roskin Michael G . ,Robert L . Cord , James A . Medeiros Walter S . Jones , **Political Science an Introduction Eighth Edition [** prentice Hall 2oo2 **]**.

[18] Russell Bertrand , **New Hopes for a Changing World** , [London 1951].
ـ برتراند راسل ـ **أمال جديدة في عالم متغير** ـ ترجمة عبد الكريم أحمد ومراجعة علي أدهم ـ دار سعد مصر للنشر والطبع والإعلان "بدون تاريخ " .

[19] Singer Peter – **Hegel** – [Oxford university Press 1982].

[20] Sorokin Pitirim **A . Modern Historical and Social philosophies** ,[New York 1963].

[21]Viotti Paul R . , **Mark V . Kauppi – Third Edition International Relation Theory** [Realizm, Pluralism, Globalism , and Beyond – Longman 1998].